(٦٩) أبو الخير الأقطع[١]

ذكر الشيخ أبي الخير الأقطع المغربي رحمه الله:

كان رحمه الله شرفَ الأقران، كبيرَ الشان، ذا كراماتٍ وفِراسة حادة، وهمّةٍ عالية ورياضاتٍ سامية، حميدَ الخصال، رضيَّ الفعال.

صحب ابن جلاّء رحمه الله.

وكان تستأنسُ به السباع، ويُجالسُه الأَسدُ والثعبان.

وكان مغربيَّ الأصل، مات رحمه الله سنة نيِّفٍ وأربعين وثلاث مئة[٢].

نقل أنه قال: كنتُ في جبل لبنانٍ مع جماعة، فجاء إلينا شخصٌ من الملوك، ويُعطي كلاًّ ممَّن كان هناك دينارًا دينارًا، فوصل إليَّ، ومدَّ يده ليناولني دينارًا، فأنا أيضًا مدَدتُ يدي، فوضعَهُ على ظهر كفّي، وأنا رميتُهُ منه إلى حجْرِ بعض الأصحاب.

ولمّا نزلتُ المدينةَ بعده بمدَّةٍ، اتفّقَ لي أن أخذتُ كرّاسةً من المُصحف بغير وضوءٍ سهوًا، ثم كنتُ أسيرُ في السوق يومًا مع جمعٍ من الأصحاب على صورة المجانين، إذ التقينا بجماعةٍ من اللصوص قد هربوا[٣]، والناسُ يعدون

---

(١) طبقات الصوفية ٣٧٠، حلية الأولياء ١٠/ ٣٧٧، الرسالة القشيرية ١٠١، الأنساب ٣/ ١٢١، مناقب الأبرار ٧٠٤، صفة الصفوة ٤/ ٢٨٢، المنتظم ٦/ ٣٧٦، معجم البلدان ٢/ ٦٨، اللباب ١/ ٢٣٤، المختار من مناقب الأخيار ٢/ ٢٦٣، مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ٢٥٨، سير أعلام النبلاء ١٦/ ٢٢، الوافي بالوفيات ١٣/ ٤٤٥، طبقات الأولياء ١٩٠، تحفة الأحباب ٢٤٠ وما بعدها، حسن المحاضرة ١/ ٥١٤، نفحات الأنس ٣٠٧، الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ١٠٧، الكواكب الدرية ٢/ ٤٤، واسمه عباد بن عبد الله.

(٢) في (أ): سنة اثنتين وأربعين وثمان مئة.

(٣) في (أ): اللصوص فذهبوا.

خلفهم، فالتقوا بجماعتنا الصوفية، واتَّهموهم بأنَّهم اللصوصُ، وأمسكوهم، فأنا قلت: أنا شيخُهم، وأنا اللصُّ، فاتركوهم وامسكوني. ففعلوا كما قلت، وأذهبوني إلى الوالي، وخلَّصْتُ الصوفيةَ من التهمة، وقطعوا يدي، ثم قالوا: من أنت؟ قلت: أنا فلان. فتأسَّفَ الأميرُ، واحترقَ فؤاده عن فعلته، قلت: لا بأس؛ فإنَّ يدي هذه قد خانت، واستحقَّتِ القطع. قالوا: كيف؟ قلت: مسَّها شيءٌ هي كانت أطهرَ منه، وهو الدينار، وهي مسَّتْ شيئًا هو أطهرُ منها، وهو المصحف.

نقل أنه جاء إلى بيته، وقد قُطعت يده، فصاح أهلُه وعياله لذلك[1]، فقال الشيخ: لا تبكوا ولا تحزنوا، فليس هذا بمصيبةٍ وتعزية، بل هو تهنئةٌ لنا؛ فإنَّ الوصلةَ التي بين قلبي ومحبَّتِهم لو قُطعت، ووضع على قلبي كيُّ الأجنبية، ماذا كنّا نعمل؟ فنحمدُ الله تعالى ونشكرُهُ على قطعِ اليد مكانَ قطع الوصلة.

ونقل بعضهم: أنَّ الأَكَلَةَ وقعتْ في يده، وأشارَ إليه الأطباءُ بقطع تلك اليد، ولم يرضَ بذلك، حتى أنه دخلَ في الصلاة، فقطعوا يدَهُ، وما أحسَّ بالقطع، فلمَّا فرغ من أدائها رأى اليدَ مقطوعةً.

ومن **كلامه** رحمه الله أنه قال: القلب لا يصفو إلاّ بتصحيحِ النيَّةِ، والجسدُ إلاّ بخدمة الأولياء.

وقال: القلبُ منزلُ الأشياء المتضادَّةِ، فإنْ كان منزلاً للإيمان[2] فعلامتُهُ الشفقةُ على جميع المسلمين، وإعانتهم في أشغالهم التي فيها صلاحُ أحوالهم، وإنْ كان منزلاً للنفاق فعلامتُهُ الحقدُ والغلُّ والغشُّ والحسد.

وقال: الدعوى رعونةٌ لا يطيقُ القلبُ حملها.

وقال: ما بلغَ أحدٌ إلى حالةٍ شريفةٍ إلاّ بملازمة الموافقةِ والمواظبة على الأدب، وأداءِ الفرائض، وصحبةِ الصالحين.

---

(١) كلمة (وعياله) ليست في (ب).

(٢) في(أ): فإن كان منزلاً للصلاح.

نسأل اللهَ تعالى أن يفيضَ علينا وعليه زُلالَ كرمه ورضوانه، ويمنَّ علينا وعليه بلطفِهِ وإحسانه، ويُدرجَنا برحمته في زمرة الصالحين، ويغفرَ لنا خطايانا يومَ الدين، ويحشرَنا مع آبائنا وأمَّهاتنا مع الصادقين والشهداء والصالحين، وصلّى الله على سيِّدنا محمّدٍ وآله وصحبه أجمعين.

* * *